التشاكل اللوني ومركزية المعنى
دراسة سيميائية في الرواية العراقية (2010- 2015)

أ.د. وحيدة صاحب حسن & م. عدي عدنان محمد

كلية التربية / جامعة القادسية

Monaf.ali.iraqi88@gmail.com

تاريخ التسليم : 2018/9/10
تاريخ القبول :2018/10/11

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن التشاكل اللوني وما يحيل عليه من معنى يرتبط بثيمة الرواية الرئيس في الرواية العراقية (2010– 2015) ،وذلك في ضوء دراسة المستوى الدلالي عبر التشاكل السيميائي للعلامات اللونية الذي قدمته مدرسة باريس لا سيما رائدها غريماس ،لتجيب هذه الدراسة عن السؤال الآتي : هل كان توظيف التشاكل اللوني في الرواية العراقية توظيفاً اعتباطياً يسهم برفد الموصف بصفة نعتية فقط ،أم كان توظيفاً سيميائياً يوحي بمركزية معنى ترتبط بثيمة الرواية الرئيسة وتلوح به .

الكلمات المفتاحية: التشاكل , الرواية . اللوني

Correction Color and centrality of meaning
Study of Semiotics in the Iraqi Novel (2010 – 2015)

Prof. Wahida Sahib Hassan & M. Uday Adnan Muhammad
College of Education / Al-Qadisiyah University

Monaf.ali.iraqi88@gmail.com

Delivery date:10/9/2018

Acceptance date11/10/2018

Abstract:

The aim of this study is to detect the chromatic aberrations and the implications of the main novel in the Iraqi novel (2010-2015), in light of the study of the semantic level of the use of semantic marks of the Paris School, On the question of whether the employment of chromatic aberrations in the Iraqi novel was an arbitrary act that contributed to the purposive dismissal of the presenter only, or was it a semiotic recruitment that suggested the centrality of meaning associated with the main novel and waving it.

Key words: simulation, novel. Chromatography

المقدمة :

إنّ المعنى في النص الروائي يعتمد وبشكل كبير على المتخيل الذي يظهر علاماته السيميائية الخاصة ،والمجسدة لجماليات النص ومظاهر التأويل فيه ،لذلك يكون للقارئ دورٌ جوهري في تأويل هذه العلامات زيادة على أنها تمثل أهمية خاصة بالنسبة للمؤلف الذي إنتاجها بتأثير من عالم الواقع .فالانشغال بمعنى العلامات اللونية داخل الرواية في ضوء قصد المؤلف وتأويل القارئ يقتضي الموازنة بين معناها في السياق الثقافي العام ومعناها في الرواية ؛لأنّ **((المعنى لا يتشكل إلّا على وفق تدرجات لسانية بين العالم الداخلي للنص والعالم الخارجي للمرجع وما بينهما ،إنّ المعنى على وفق هذه الرؤية اللسانية ذات الجذر السيميائي لا يتموضع في العالم الخارجي ولا في النفس ،وإنّما يتموضع في المفاهيم ... المفاهيم هي الوسيط الذي يربط العناصر الثلاثة : الأذهان تمسك بالمفاهيم ،والكلمات تعبر عنها ،والأشياء يحلّ عليها بوساطتها))**[i]،ومن هنا تظهر أهمية العلامات اللونية في قدرتها على إنتاج المعنى السردي على وفق قواعد وشروط تخيلية يضعها منتج النص بوصفها موجهات وأشارت للمعنى الذي يقصده تاركاً مسافةً تأويليةً للقارئ وقدراته التحليلية .

ولما كان التشاكل في السيميائية السردية يعني **((تكرار عدد من العناصر الدلالية أو النحوية في خطاب ما ...أو جملة المقولات الدلالية المتكررة التي تجعل قراءة القصة متسقة ...أو هو حصيلة تكرار عناصر معنوية تنتمي إلى مقولة واحدة، فالملفوظ المتشاكل هو ذاك الذي يحمل تكراراً يوفر انسجام معناه))**[ii]، فإنّ التشاكل اللوني يعني تكرار لون بعينه بشكل يوفر انسجام دلالياً ضمن مركزية معنى الرواية الرئيس ،إذ إنّ تشاكل العلامات اللونية داخل النص الروائي ،وما يترتب عنه من دلالات **((تسهم على نحو كبير في تعميق بؤرة المعنى وإنتاج علامة التشكيل))**[iii]. وبهذا يصبح التشاكل اللوني في الرواية من وجهة نظر سيميائية قادراً على الايحاء بالمعنى العميق الذي يقصده المؤلف في ضوء قدرة القارء على التأويل ،فالطابع التأويلي لمعنى للتشاكل اللوني داخل النص الروائي يتجلى –إذن– في الموازنة بين معناه في عالم الرواية الداخلي ،ومعناه في السياق الثقافي العام ،فلا يحيل إلى الواقع الخارجي بوصفه معطى موضوعياً ،بل يحيل إلى رؤية ووجهة نظر الروائي في هذا العالم بين سياقين ،أحدهما، سياق عام : يستمد منه التشاكل اللوني معناها في ضوء الثقافة المتداولة، والآخر، سياق نوعي ،يشير التشاكل اللوني إلى المعنى في ضوء تحويل دلالة العلامات اللونية المتشاكلة من دلالاتها المرجعية " العرفي" إلى دلالات إبداعية متخيلةٍ تثير دهشة القارئ ،وتدفعه إلى تأويلها . والخطاطة الآتية توضح ذلك[iv]:

تشاكل العلامات اللونية

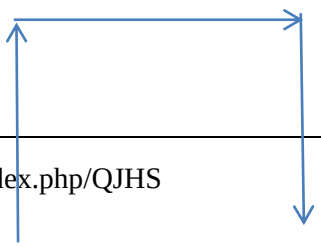

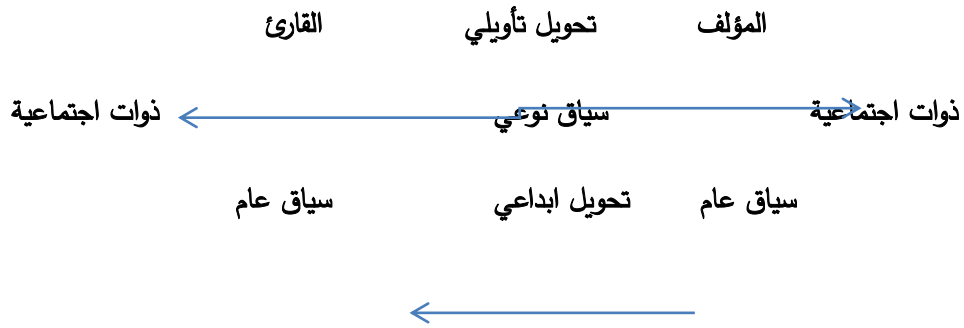

ويبقى هذا الدور الذي يلعبه التشاكل اللوني مقيداً بقيود التلميح والترميز ،ومدى قدرة القارئ على فك شفراته بوساطة التأويل ،ومن هنا يمكن تناول التشاكل اللوني بحسب الألوان على النحو الآتي :

1. **الأبيض :**

يعد اللون الأبيض[v] بوصفه علامة من الألوان المؤثرة دلالياً داخل الرواية ؛لأنّ توظيفه لا يقف عند حدود الإعلان النعتي عن صفة لونية محددة وثابتة للموصوف ، بل يُعْدَلُ عن معنى الوصف إلى معنى ثري وخصبٍ قد يتصل بالفلسفة أو علم النفس أو السياسة ...ألخ ؛ليسهم بشكل بالغ التأثير والتحويل في حسم المعنى[vi] ،وهو بذلك يخضع لغة الرواية بحراكها السيميائي والتشكيلي إلى أنتاج خصوصية العلامة اللونية البيضاء في تشاكل تعبيري يؤدي بالضرورة إلى خصوصية المعنى .

إنّ تشاكل اللون الأبيض في الرواية العراقية يتضمن تحولاً دلالياً بين حالتين أو موقفين متناقضين ،وبذلك نجد ثنائية مشتركة تتشكل منها دلالات اللون الأبيض في الرواية ،ولا تخرج عنهما ،فيتم التعبيرباللون الأبيض عن المحتوى الدلالي في ضوء علاقة ثنائية بين حدين ،هما الجمال والقبح ،فتظهر الدلالة العميقة في ضوء التدرج والتحول من دلالة القبح إلى دلالة الجمال أو العكس ،ويمكن تمثيل ذلك في الشكل الآتي :

تشاكل اللون الأبيض

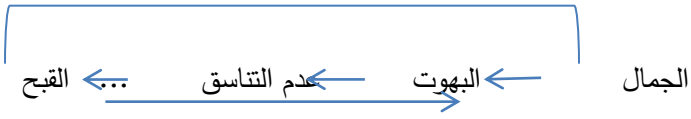

ففي رواية (تحت سماء كوبنهاغن) لحوراء النداوي، التي تتحدث عن معاناة العراقيين في الغربة ، لتصور شخصية هدى وعائلتها ، ورافد وزوجته ، في بلاد الغرب ،وما تعانيه العوائل في تلك البلاد من تمييز واغتراب وجودي ،زيادة على إشارتها إلى معاناة

المرأة الشرقية في تلك البلاد ،ومشكلة الحب و التكيف مع ذلك المجتمع . نلحظ تحولَ دلالات اللون الأبيض في تشاكلها التعبيري بين هذين الحدين بشكل متدرج ،والمقطوعات الآتية توضح ذلك :

- المقطوعة (1) رافد يصف باللون الأبيض جمال زوجته شكلياً ،وبهوتها عاطفياً **((شذى رقيقة مثل قشة ،هادئة لا تكاد تُلحظ ،ومتناهية الشفافية ،كلّ شيء فيها شفاف حتى جسدها ،وقلبها .وجسدها بلون فائق البياض ،والذي يخيل إليّ أحياناً أنّي أرى عبره ،وغالباً ما أنفقت ليالي الأرق باللهو بمتابعة شراييّنها البائنة ...أما قلبها ! فيكاد يثقب من شدة شفافيته ،التي لا تسمح له بالانجراف فضلاً عن المغامرة في الحب . شفافيتها الزائدة تحقنها بخدر غريب ،فتتركها هائمة لا أفهم لها قولا أو فعلاً من تلك الأقوال والحركات المائعة التصدر عنها .أحياناً أتساءل إنْ كان لها قلب تثار به أصلاً...))**[vii]
- المقطوعة (2) هدى تصف باللون الأبيض وما يتشاكل معه من ألوانٍ صديقتها فاطمة في أيام الطفولة من حيث الجمال والبهوت ومن ثم القبح : **((كنت أنعتها دائما في سري بالغبية ،وكانت هي تلف رأسها دائماً بإيشارب صغير الحجم ،ولكنه كبير على رأسها ،يرتخي على عينيها الزرقاوين قليلاً فيحجب جزءاً منها .كان الإيشارب يجعل وجهها الناصع البياض يبدو أكثر جمالاً وقد أحاط بهالةٍ رقيقةٍ لكنها ما أن تخلع الإيشارب حتى يظهر شعرها الأشقر فتبدو باهتة باردة بملامحها الدقيقة الذائبة بعضها في بعض وقد اختلط اللون الأشقر الباهت ببياض وجهها وزرقة عينيها فضاعت الزرقة في البياض وفي اللون الأشقر حتى لم أعد أميّز أعينها أم شعرها ،أبشرتها بيضاء أم عيناها))**[viii].
- المقطوعة (3) دلالة اللون تتحول بالأبيض من الجمال إلى القبح عند ارتباطه بالدنماركيين بإزاء المهاجرين ،ويتمثل ذلك في تذكر هند لصديقها كلاوس الدنماركي ،وما قاله لها في طفولتها عند رفضه للعب معها **((ذلك الصغير الذي رفض اللعب معي لأنني –كما نعتني –سوداء . كم هو سهل أنْ يطلق الدنماركيين هذا التعبير على الأجانب ،حتى أولئك الذين يماثلونهم بياضاً))**[ix].

إنّ تشاكل اللون الأبيض وتكراره في هذه المقطوعات يشير من وجهة نظر سيميائية إلى ثيمة التحول من دلالة الجمال إلى البهوت، ومن ثمّ الإيحاء بالقبح ،فهو تحول من جمال شذى إلى برودها العاطفي بإزاء احساس رافد ومشاعره ،ومن جمال وجه فاطمة عند لبسها للإيشارب إلى البهوت وعدم التناسق عند خلعه بإزاء كره هدى لها ،وجمال بياض الدنماركيين إلى قبحه عند غيرهم بإزاء مشاعر هدى . وبهذا يرتبط تشاكل اللون الأبيض بموضوع الرواية الرئيس في الإيحاء بمعاناة المهاجرين في الغربة ،وتحول انفعالاتهم النفسية من الجمال إلى البهوت ومن ثم الإيحاء بالقبح، فهو يخلق مركزية معنى في تجلٍ نوعيٍ من تشكلاته ؛ليسهم بوصفه علامة عبر اندماجه بروح التجربة الروائية في تشكيل المعنى .

إنّ هذا التحول الدلالي لتشاكل اللون الأبيض عبر تكراره أو تضافره مع الألوان الأخرى في رواية (تحت سماء كوبنهاغن) نجد له نظيراً ذا معنى قريب في رواية (شاي العروس)،لميسلون هادي –المذكورة أنفاً– إذ يحتشد اللون الأبيض في الرواية للإيحاء بمشاعر الشخصية بإزاء زمنين مختلفين ،فتتحول دلالة البياض على الجمال إلى دلالة القبح ،والمقطوعات الآتية توضح ذلك :

- المقطوعة (1) اللون الأبيض عند تشاكله مع اللون الرمادي يشير إلى تحول الدلالة من الجمال إلى القبح في ضوء مشاعر محمود بإزاء حادثة الابصار بعد العمى ، واكتشافه حقيقة الناس المحيطين به بعد أن كان يمتلك روحاً طفولية بيضاء في صغره : ((**يشعر الآن ،وهو ينظر إلى السماء ،بأنّها بيضاء مائلة للرمادي ،وبأنّ الغبار تحتها يملأ المكان بلون خانق شديد الغموض ،إنها تبدو قريبةً من الأرض، وهذا القرب يصبح مفزعاً عند اتحادهما معاً في خط بعيد لعله خط الأفق ..كما لو أنّ الدنيا تنطبق فيها السماء على الأرض هناك ،فأين هي سماء الطفولة التي تضحك زرقاء زاهية ،وكأنها خارجة للتو من علبة الألوان والغيوم تحتها بيضاء لا تتحرك**))[x].

- المقطوعة (2) إنّ تشاكل اللون الأبيض عبر التكرار يشير إلى تحول الدلالة من جمال قطرات المطر على القميص الأبيض بعد الابصار إلى قبح قطرات الدم على القميص الأبيض قبل العمى : ((**قطرات مطر متباعدة سقطت على قميصه الأبيض ،فرأى للمرة الأولى في حياته ثوباً مليئاً بالنقاط .. في السادسة من عمره وجد تلك النقاط دماً يتساقط على قميصه المدرسي الأبيض بعد أن جرحته قضبان قفص الببغاء قبل أن يطير . وكانت تلك القطرات أخر ما يتذكر أنّه رآه قبل أن يسقط من السطح**))[xi] .

- المقطوعة (3) اللون الأبيض عند ارتباطه بجمال المرأة في بلاد الغرب يشير إلى جمالها ولكنه يتحول إلى قبح عندما يتذكر محمود ما يحصل في بلاده من موت ((**...عندما توقفت الحافلة قرب محطة الوقود لتبديل السائق هبط بعض الركاب من الحافلة لتدخين السكائر ،وكانت بينهم تلك المرأة ذات الظهر الزبدي سرعان ما انظمت إليها فتاة أخرى تكشف عن صدرها الأبيض كشرحة الجبن الطرية ..ومن حاصل جمع الأثنين تمطى محمود وتمطق وشعر بالانتعاش ثم تساءل ،هل يعرف الموت طريقه إلى هنا؟...ليحصره فجأة عن تلك اللحظة الجميلة**))[xii].

تفضي هذه المقطوعات عبر تشاكل اللون الأبيض إلى خلق مركزية معنى جمال الأشياء وقبحها في ضوء مشاعر الذات الفاعلة ،فتتأرجح دلالته بين الجمال في زمن الإبصار عند ارتباطه بقطرات المطر ،و قبحه عند ارتباطه بالسماء الرمادية .وجمال زمن العمى في الطفولة وقبحه بعد الابصار ، وجمال الاحساس ببياض المرأة في الغربة وقبحه عند تذكر الموت في بلده .وبذلك يخلق التشاكل اللوني مركزية معنى تجعله فاقداً لدلالاته السابقة ،ومكتسباً دلالات تناسب حالة القلق النفسي التي تمر بها الشخصية .

أما رواية (فرانكشتاين في بغداد) ،لأحمد السعداوي ،التي تدور أحداثها حول جثة يجمع أجزاءها هادي العتاك من بقايا جثث التفجيرات الإرهابية في بغداد خلال سنة 2005م ،فينهض عند دخول روح شخصية حارس الفندق فيه ؛لينتقم من المجرمين الذين قتلوا مالكي أجزائه المكونة ،ويتطور الأمر ليقتل حتى الأبرياء. فقد جاء تشاكل اللون الأبيض فيها علامةً دالةً على الانتقال من دلالة الجمال إلى القبح ،ومن القبح إلى الجمال ،والمقطوعات الآتية توضح ذلك :

- المقطوعة(1) اللون الابيض عند تشاكله مع الأحمر يدل على تحول أم دانيل من هيأة الحزن والترمل القبيحة إلى هيأة الفرح والجمال بعد ظنّها أنّ دانيل عاد اليها ،إذ قامت ابنتها بإرسال حفيد أم دانيال الذي يشبه دانيل ؛لإقناعها بالهجرة من بغداد : ((**استبشرت أم سليم البيضة حين رأت أم دانيال عند محل القصابية ...كانت تضع عصابة كونكثا حمراء بزهور بيضاء ،وكأنها**

فتاة صغيرة .لقد نزعت عصابة الترمّل والحزن ،ما الذي حصل للعجوز ؟!...وحين استفهمت منها عن هذه العصابة الحمراء الملفتة ...قالت لها بهدوء ،وهي تنظر إلى الطريق أمامها : لقد انتهى حزني .الرب سمع ندائي أخيراً...))[xiii].

- المقطوعة(2) اللون الأبيض عند تشاكله مع الأخضر دال على تحول الشخصية الغرائبية من القبح والعري إلى الجمال والهيأة المقبولة، ويتمثل ذلك في المقطوعة التي تتحدث عن الشسمة في بيت أم دانيال وظنها إنّه ابنها ،فتعطيه ملابس دانيال القديمة **((...صاحت عليه : – انهض يا دانيل ...انهض يا دانيل ...تعال يا ولدي ،فنهض من مكانه فوراً. جاءه (الأمر) الذي تحدث عنه الشاب الميت ذو السوارين الفضيين في مقبرة النجف ليلة أمس .أشعلت العجوز بندائها هذا التركيبة العجيبة التي تكوّنت من الجثة المجمّعة من بقايا جثث متفرقة وروح حارس الفندق التي فقدت جسدها .أخرجته العجوز من المجهول بالاسم الذي منحته له :دانيال ...قربت المدفأة منه داخل الصالة ثمّ غابت لدقائق وعادت وهي تحمل قميصاً أبيض مجعد ،وبلوزة خضراء قديمة وبنطلون جينز ،وكلّها تفوح منها رائحة النفتالين القوية .أخرجت هذه الملابس من صندوق ابنها دانيال الذي ظلّت تحتفظ به طوال السنوات الماضية))[xiv].**

- اللون الأبيض عند تشاكله عبر التكرار يدل على تحول الدلالة من الجمال إلى القبح ،ويتمثل ذلك في المقطوعة التي تتحدث عن إيمان أم سليم البيضة ببركة أم دانيال الذي يتلاشى بمجرد تعارضه مع مصلحتها **((...غير إنْ هذا الإيمان العميق يشبه الدخان الذي تطلقه أم سليم البيضة من أرجيلتها في عصريات الثرثرة ؛يتكاثف ويلتف ويصنع بسحابته البيضاء أشكالاً متموجة قبل أنْ يرتفع سريعاً ويتلاشى في هواء الحوش))[xv].**

- اللون الأبيض عند تشاكله عبر التكرار يدل على تحول الدلالة من الجمال في هيأة أم سليم البيضاء إلى القبح والحزن ،ويتمثل ذلك في المقطوعة التي تتحدث عن فعل أم سليم البيضة عند هجرت أم دانيال من أنّ البركة سترحل عن المدينة وسيحصل القتل والموت **((عملت أم سليم البيضة مناحة كبيرة داخل الزقاق ،وجلب صوتها في وقت مبكر من بداية النهار كلّ الساكنين في البيوت المجاورة ،وشاهد الكثيرون ذراعيها البيضاوين لأول مرة حين رفعتهما إلى الأعلى وهي تصيح على أم دانيال المبتعدة مع حفيدها إلى نهاية الزقاق ،كان ذراعيها بيضاوين كالثلجة لم يرَ أحد مثلهما سابقاً ،وعلق بعض الخبثاء متسائلاً حول السبب في ارتداء أم سليم لثياب ذات أكمام عريضة إنْ لم تكن معجبة هي بنفسها وبياض ذراعيها . رفعت ذراعيها نائحةً فهطل الكمّان العريضان للثوب وسطع بياض ذراعيها المستديرتين الجميلتين اللذين يلائمان شابة وليس أمرأة بعمرها))[xvi].** وفعل يتحقق حدسها ويحصل تفجير إرهابي في المدينة عبر سيارة بيضاء **((... بأجزاء من الثانية هب عصف الانفجار الذي حدث لسيارة الأوبل البيضاء والتي كانت ملغمة أيضاً بالإضافة إلى الحزام الناسف للانتحاري ... أما أبو سليم الذي كان يراقب سيارة الانتحاري البيضاء من أعلى شرفته المطلة على الزقاق فقد نزل هو الشرفة الخشبية إلى الأسفل بسرعة كبيرة وأصيب بكسور في ساقيه وذراعه اليسرى وبعض الخدوش ...ولكنه لم يمت))[xvii].**

إنّ تشاكل اللون الأبيض في هذه الرواية يتيح فرصة للانتقال الدلالي بين حدي الجمال والقبح، فيخلق بذلك مركزية معنى تبلغ أقصى حدود تأثيرها في توجيه المعنى ،إذ تتحول أم دانيال والشسمة من هيأة غير مقبولة (قبيحة) إلى هيأة مقبولة اجتماعياً ،في حين تتحول هيأة أم سليم البيضة الجميلة إلى هيأة تثير النقد عند حزنها على هجرة أم دانيل ،بالرغم من أن التشاكل اللوني للأبيض أشار إلى أنّ تلك البركة (الجمال) تتلاشى عند أم سليم البيضة بمجرد تعارض رأي أم دانيال مع مصالحها الذاتية .ومن

هنا يخلق التشاكل اللوني مركزية معنى ترتبط بثيمة الرواية الرئيسة ،وتشير إلى معاناة المسيحيين في العراق بعد عام 2003 ،وما هي مشاعرهم بإزاء الأوضاع الجارية والقتل .

2- الأحمر :

يعد هذا اللون من الألوان الحساسة ؛لارتباطه بمشاعر الإنسان ،فهو لون ((**الحب والفرح والسرور ،ويدل على الغنى ... ويرمز أيضاً للقتال والشدّة**))[xviii]،وهو رمز الخطر لارتباطه بالدم[xix]، لذلك فهو يجسد درامية الصراع الاجتماعي في ضوء التناقضات المختلفة نحو العنف، والحب الذي يعيشه أفراد المجتمع[xx] .وهو بذلك يتصل بالتجربة الروائية اتصالاً مباشراً ،ويحقق تشاكله عبر التكرار أو التضافر مع الألوان الأخرى مركزية معنى تتعلق بثيمة الرواية الرئيسة ،وتحيل على أنواع الصراعات الاجتماعية.

إنّ تشاكل اللون الأحمر في الرواية العراقية يخلق تحولاً دلالياً بين حدين رئيسين ،إذ نحصل على علاقة تتدرج فيها الدلالة من القوة إلى الضعف أو العكس ،فيعبر تشاكل اللون الأحمر عن المحتوى الدلالي في ضوء حدي (القوة والضعف)،والشكل الآتي يوضح ذلك :

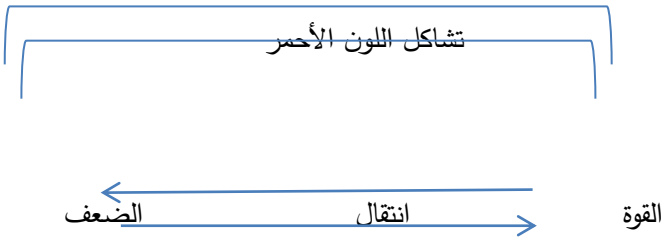

ففي رواية (عجائب بغداد) لوارد بدر السالم ،وهي رواية غرائبية تصور مآسي العراقيين بعد عام 2003 ،ولا سيما زمان الاقتتال الطائفي 2006 ،وهم يوثقون تلك الحرب ،فتظهر الرواية بقاء أجزاء من القتلى على قيد الحياة ؛ لترمز إلى التمرد على ذلك الواقع المعيش ،زيادة على تصويرها لقرية بُنيت من الصفيح يهرب إليها الناس، فتظهر واقعية المجتمع وقتلاه وترمز إلى جهل رجال السياسة وتضارب المصالح واتخاذ الدين ستاراً للوصل. نجد اللون الأحمر يتشاكل تشاكلاً تعبيرياً للإيحاء بالانتقال من دلالة القوة إلى الضعف أو العكس ، ويتمثل ذلك في المقطوعات الآتية :

- المقطوعة (1) تشاكل اللون الأحمر مع لون الدم دال على تحول الناس في العراق بعد 2003 من القوة إلى الضعف والموت بسبب القتل الطائفي ،ويتمثل ذلك في حديث الراوي عن مدينة الصفيح التي هرب اليها الناس من القتل ،ووجهة نظره بالاقتتال الطائفي ((**...صحنا بأصوات سمعها القاصي والداني :إيها المبتلون بحرب الأخوة الأعداء . العاجزون عن الحياة الدامية**

. لم يكن واحدٌ منّا محمداً ولا هارونا ولا عيسى ولا موسى ولا بوذا .إننا مثلكم بشرٌ أكله الرصاص وأهانته المفخخات وجعلت الأحزمة الناسفة نهاراته ولياليه حمراء. ابتلينا بالحروب ورؤوس الفتنة فيها . يريدون حرق نسلنا كي لا نبقى شهوداً على الزور ،وقطع ألسنتنا كي لا نصيح ،فهربنا بشواهدنا إلى هنا لعل الله يرى لنا مخرجاً وسبيلاً))[xxi]

- المقطوعة (2) اللون الأحمر دال على عصيان الذات للمحتل ، وحقدها عليه ،ويتمثل ذلك في تحول وجه المراسل بإزاء حديثه عن المحتل إلى اللون الأحمر ؛للإشارة إلى الضعف والحقد **((كنت أرى الأصبع على شاشة الكاميرا مقرباً وقد تفنن المصدر بوضعه في كادرات مختلفة راصداً حركاته المثيرة ...فينتصب بوجه المراسل الأمريكي متوتراً ،ففسر الأخ باللاقطة المعلقة على صدره أنّ أخاه غير سعيد وهو يوضع على هذه اليد الأمريكية ولا يريد البقاء فيها . ضحك المراسل طويلاً محمر الوجه ،وهو يقول حتى الأعضاء المقطوعة لا تريد الأمريكان أن يبقوا هنا))**[xxii].

- المقطوعة (3) تشاكل اللون الأحمر مع لون الدم ؛ للدلالة على وضع العراق بعد سقوط الحكومة العراقية عام 2003 ،والأحداث التي تلت السقوط وما نتج عنها من خراب ،ويتمثل ذلك في حديث الراوي مع لورى **((...مرة قلت لها من ليس لديه نافذة في رأسه لن يستطيع مشاهدة البحر ،وقتها فتحت نوافذها كلها ولم ترَ البحر ،بل رأت دجلة ملطخاً بالبراز والوحل والدم . قلت لها يا لورى الجميلة اسحب البحر من رؤوس العراقيين وحلت فيها بحيرات من الغرين الأحمر لا يعرف الناس إنْ كان دماً أم ماءً أم برازاً ...))** [xxiii].

إنّ تشاكل اللون في المقطوعات السابقة يشير في مستواه السيميائي إلى مركزية معنى تتلبث بوصفها البديل عن ثيمة الرواية الرئيسة ،فتبلغ بالتشكل اللوني تأثيراً في توجيه المعنى، فسيطرت الاقتتال الطائفي على المدن العراقية يجعل من مدينة الصفيح ملاذا لا بد منه ،ومكاناً قسرياً لا يمكن مقاومته ،إذ تتحول المدن العراقية من القوة والطمأنينة والأمان إلى الضعف والقتل والخراب ،فيشير اللون الأحمر إلى الحياة الدموية متجسدة بالقتل والدماء ،ويتحول نهر دجلة من الحياة والجمال "القوة " إلى القبح والخراب واختلاط الدم بالبراز، وتتحول الناس من القوة والمقاومة الحقيقية إلى الحقد النفسي الداخلي في ضوء تغير ملامح الوجه ضد المحتل وأفعاله .وبهذا يشير تشاكل اللون الأحمر في هذه الرواية في مستواه الدلالي إلى الانتقال من فضاء القوة إلى فضاء الضعف عبر تثوير طاقة العنف والموت في اللون الأحمر .

أما رواية (حدائق الرئيس) ،لمحسن الرملي التي تقوم على السرد السير ذاتي والسير غيري ،إذ يدور هذا السرد حول معاناة شخصيتين هما عبد الله كافكا وإبراهيم قسمة في حين اتصف طارق بصفة الاستقرار ،فتظهر مشاعر الشخصيات وعالمها الداخلي في حقبة معاناة العراق في حروبه وحصاره واحتلاله ، وما شهده من قتل وتفجير وإعدام ومقابر جماعية وفردية وكل ما رافقها من فوضى ،فتصور هذه الرواية العنف السياسي والاجتماعي من جميع جوانبه لتظهر البعد النفسي للشخصيات. فقد تشكل اللون الأحمر فيها ؛ لخلق مركزية معنى تنهل من معنى الأحمر المحفور في الدلالة العامة ومحاولة ضخها في تجربته الروائية ؛ليؤلف جدلية قوة السلطة وضعف الشعب ومعاناته ،والمقطوعات الآتية توضح ذلك:

- المقطوعة (1) تشاكل اللون الأحمر مع الألوان الأخرى دال على ثراء السلطة وقوتها ،ويتمثل ذلك في وصف قصر الرئيس : **((... الستائر من الشيفون الزهري ،والوسائد حمراء وزرقاء وبرتقالية وزهرية على شكل قلب أيضاً ...))**[xxiv]،ووصف أحد

ضباط الرئيس من قبل إبراهيم قسمة عند عمله في القصر: **((... هناك دخل عليه ضابط شبيه بالضابط الأول ،شبيه بكل الضباط هنا ،حيث يبدون جميعاً يشبهون الرئيس بشواربهم ،بذلاتهم الزيتونية المفصلة ومكوية بعناية المسدسات في الخاصرة ،الجزمات الحمراء اللامعة ونبرات الصوت))**[xxv]

- المقطوعة (2) تشاكل اللون الأحمر مع لون الطين دالاً على فقر الشعب وضعفه ،ويتمثل ذلك في وصف بيت قسمة عند موافقتها على طلب طارق للزواج : **((ومع أول الصباح اقتربت قسمة من جارتها السمينة أميرة التي كانت تخبز في تنورها الملتصق بجدار الطين الوطيء بين منزليهما ،وأميرة هي أكثر من تعاملت معها قسمة في القرية ،هي التي أعادت تعلمها رعاية البقرتين وحلبهما وكيفية الخبز على تنور الطين الأحمر ...))**[xxvi].
- المقطوعة (3) تشاكل اللون الأحمر مع الألوان يشير إلى تحول المجتمع من القوة إلى الضعف ،ويتمثل ذلك عند إخبار عبد الله كافكا بحصول فيضان النهر أبان الحرب ،وفقد الناس لأموالهم : **((أخبروه ذات ربيع ،أنّ النهر قد فاض ،طفحت ضفتاه فغطى الحقول والبساتين ...لم يقل شيئاً وظل يسحب أنفاس الدخان أمام تراكض الناس وهلع الواصفين ،حتى دخل إسماعيل الراعي مرعوباً مولولاً ؛لأنّ الفيضان قد أطاح بزريبة حيواناته وأخذ عشرة رؤوس من أغنامه ،وإحدى عنزاته ،كان ينتحب وهو يصف لهم كيف طفت عنزته على سطح الماء الأحمر بسبب الطين ...))**[xxvii] .

إنّ تشاكل اللون الأحمر في المقطوعات السابقة يشير من وجهة نظر سيميائية إلى قوة السلطة الظالمة وثراءها، مقابل فقر الشعب وضعفة ،وقد تجسد هذا الضعف عند حصول الفيضان ،إذ استعمل اللون في مناطق المواجهة والقسوة ،فأخذت الفوضى تعم ،وبدأ الرعب والهلع يأخذ بقلوب الناس ؛فيتحقق بذلك عنف المعنى في اللون الأحمر ،ويظهر تحول الدلالة من القوة قبل الفيضان إلى الضعف والخسارة بعده ،فيتحرك بذلك اللون الأحمر عند تشاكله مع لون الطين ضمن حساسية سردية تكشف عن دلالة سلبية تعطل فاعلية قوة المجتمع ،ليسود الضعف فيه ؛ فتشير العلامة اللونية (أحمر) إلى القلق والهلع والخسارة والضعف ،مقابل قوة السلطة وثراءها.

وهذا ما نلحظه–أيضا– في رواية (ليل علي بابا الحزين) لعبد الخالق الركابي ،التي تدور أحداثها حول تاريخ العراق ،وما يتعلق بحقبة العثمانيين والاحتلال البريطاني للعراق ،وربطها بالواقع العراقي ايام السلطة الظالمة ،ومن ثم توضيح معاناة العراقيين أيام الاحتلال ،إذ يتغذّى هذا النص الروائي من هذا الانتقال الدلالي بين القوة والضعف للون الأحمر وتشاكله بوصفه لوناً حساساً يرتبط بالتحولات التاريخية الدموية التي شهدها العراق .فقد أشار اللون الأحمر إلى ثنائية القوة والضعف في وضع المجتمع العراقي قبل سقوط النظام (2003) والأحداث التي رافقت ذلك ،وما نتج عنه في السنوات التي تلت هذا التاريخ ،وبهذا يكون لتشاكل اللون الأحمر دلالات مختلفة بين زمنين مختلفين (قبل السقوط – وبعده) : والمقطوعات الآتية توضح ذلك :

- ما قبل السقوط :

- تشاكل اللون الأحمر مع الألوان الأخرى يشير إلى فقر يحيى وضعفه ،فيرتدي ملابس البالات غير المتناسقة : **((... كان يحيى يقدم عادة وقد ارتدى أفضل ما لديه ،وهنا المشكلة ؛ فقد انفرد الرجل بأسوأ ذوق عرفته في اختيار ملابسه :يجمع بين**

قميص أحمر وبنطال بمربعات بيض وسود – مثل رقعة الشطرنج –،وثمة " كاميرا" تتدلى من رقبته مضفية عليه هيئة سائح غجري ...))[xxviii].

- اللون الأحمر دال على خجل مي من الراوي عندما حاول الاطلاع على تجربتها الروائية ،فقد مانعت في البداية ولكنها ضعفت ووافقت أخيراً **((وكانت لها بدورها تجربتها الروائية الأولى ،هذه التجربة التي لم تكن قد أنجزت منها سوى فصول معدودة رفضت أنْ تسمح لي بالاطلاع عليها إلّا بعد طول ممانعة ؛ فقد كانت تقول بوجه أحمر خجلاً : – لا أريد لهذه الفصول أنْ تصبح لديك مادة للسخرية والتندر ؛إذ أين هي من تجربتك الطويلة التي ترسخت بالعديد من الروايات المتميزة ؟))**[xxix].

- ما بعد السقوط :

- تشاكل اللون الأحمر مع الألوان الأخرى يشير إلى ثراء يحيى وقوته ،ويتمثل ذلك في تغيير هيأة يحيى وارتدائه الملابس الأنيقة[xxx]،وركوبه سيارة فارهة عند لقائه بعبد الخالق الركابي "الراوي" في بغداد بعد السقوط : **((...وسبقني في مغادرة المقهى واضعاً بذلك إياي أمام الأمر الواقع ،فتعقبته مرغماً ؛لأفاجأ به يفتح باب سيارة "بي .أم . دبليو" حمراء ضخمة مركونة في صف السيارات الواقفة بإزاء رصيف "القشلة" داعياً إياي ا "التفضّل "بركوبها))**[xxxi].ومن ثم تجسيد هذه القوة بالتعالي على الراوي ،ويتمثل ذلك في حصول القطيعة بينهما : **((هكذا وقعت القطيعة بيني وبين يحيى ،قطيعة زادها مرور الأيام رسوخاً ،فكلّما تذكرت منظره ،وهو يخاطبني من خلف مقود سيارته الحمراء الأنيقة ،معيراً إياي بثقافتي وضرورة احتكامي إلى ضميري أسودّت الدنيا في عيني ...))** [xxxii] .

- اللون الأحمر دال على قوة الأمريكان ومنع الناس من الاقتراب من عرباتهم : **((كانت الشوارع التي نجتازها تضيق أحياناً ،فتزاحم بعضها بعضاً في سير بطيء قاتل سرعان ما كنت أتبين أنّ سببه يعود لوجود رتل عسكري يتقد منا حيث الجنود الأمريكان المطلون من قمرات المدرعات يتتبعوننا بعيون مغطاة بنظارات معتمة ،وقد صوبوا اسلحتهم نحونا ،وثمة عبارة تحذير مكتوبة باللون الأحمر على مؤخرة أخر مدرعة "خطر مميت! ... احذر الاقتراب أكثر من 100 متر"))**[xxxiii].

- تشاكل اللون الأحمر مع لون الدم دال على تحول المجتمع العراقي من القوة إلى الضعف بسبب الاقتتال والموت، وهذا ما نجده في حديث بهجت لطيف عن الحرب والاحتلال ،**((أخذ يتحدث ،هذه المرّة عن أيام الحرب الرهيبة التي اقترنت خلالها "غضب السماء بجبروت الأرض ..." تصوروا...لقد تلونت السماء بلون الدم فأخذت تمطر وحلاً وطيناً...))**[xxxiv]

- تشاكل اللون الأحمر مع اللون الأخضر بوساطة الإفادة من علامات المرور بإشاريتها السيميائية ؛للإيحاء بأساليب المرشحين الملتوية للوصول ،فيشير اللون الأحمر إلى المنع ووجوب التمعن في مواطن القوة التي يمتلكها هذا البلد ،لينتقل إلى أنّ هذه القوة والثراء مرتبط بانتخابه واعطائه الضوء الأخضر لتحقيق ذلك : **((وبلغ الذكاء بمرشح آخر أنّه أضفى سمةً "درامية" على وعده :فعلى الجانب الأيمن من صورته خُطتْ عبارة باللون الأحمر :إيّها العراقي تحسس موطئ قدميك ،وأنت تخطو على ثرى أرض الرافدين ذلك لأنّك تسير في الواقع على بحيرة من نفط!. وتأتي التكملة على الجانب الأيسر بعبارة باللون الأخضر تقول: واصل خطاك نحو المستقبل مرفوع الرأس ؛وأنا الكفيل بإغراقك بخيرات بلادك أغنى بلدان العالم !))**[xxxv].

يتضح من هذه المقطوعات أنّ تشاكل اللون الأحمر في هذه الرواية يذهب إلى تشكيل دلالة سلبية تعطل مواطن القوة والثراء قبل السقوط ،ودلالة إيجابية تفعل تلك المواطن عندما ترتبط بيحيى ،وأفعاله غير المشروعة للحصول على تلك القوة ،ولكنها تتحول من القوة إلى الضعف عندما ترتبط بالبلد بعد الاحتلال ،فينتشر القتل والدم والخداع والصراع من أجل الوصول لتلك القوة .وهو ما

ينقل دلالة اللون الأحمر إلى مركزية معنى تتعلق بثيمة الرواية الرئيسة ،وتجسد معاناة العراقيين عبر التاريخ ،فيشير إلى أنّ تشاكل اللون الأحمر كان ذا فعالية سيميائية يتأرجح بين حدين "القوة الضعف " في سبيل إنجاز المعنى العميق .

3- الأخضر:

يُعدُّ اللون الأخضر لوناً مختلطاً يكون في الحيوانات والنباتات والأشياء ،فقد يكون أخضر أحم وهو أدنى من الخضرة إلى الدهمة ،وأشد الخضرة سواداً، وأخضر أدغم وأخضر أطحل ،ويقال للأسود أخضر أو أسمر[xxxvi]وهو لون أساس يستعمل في مستوى الفنون التشكيلية ،لقدرته بمستواه النفسي على نقل الاحساس والعاطفة ،إذ إنّه **((رمز النمو و الأمل والحياة والخصوبة والنبل))**[xxxvii]،ويستعمل بوصفه رمزاً لجمال الطبيعة والشباب[xxxviii]، وهو بذلك يؤثر نفسياً في الإنسان ومشاعره ومزاجه العام؛ لأنّه **((لون الطبيعة .منعش رطب مهدئ يوحي بالراحة ،إذ يضفي بعض السكينة على النفس ويسمح للوقت أن يمر سريعاً ويساعد الإنسان على الصبر ...))**[xxxix] ، وبذلك تتعدد استعمالاته بتعدد مستويات التدليل والترميز ،فيدخل إلى الرواية بعد أن اكتسب صفته السردية وتضاعفت وظيفته في الأداء السردي والتدليل السيميائي، فاتسعت تلك الدائرة الدلالية بوساطة إفادتها من كل هذه الدلالات المتنوعة ، ليستثمرها الروائي داخل بنية الرواية .

يشتغل تشاكل اللون الأخضر في الرواية العرقية بواسطة الانتقال من دلالة الحياة إلى الموت بمعنييهما الحقيقي والمجازي أو العكس ، إذ يرتبطان في تدرج دلالي يمكن تمثيله بالشكل الآتي :

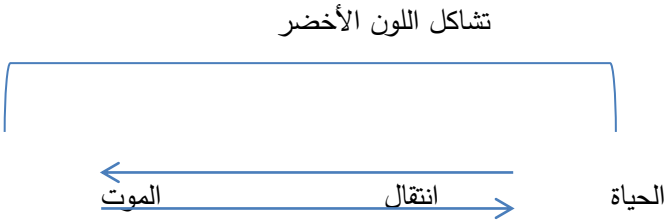

فتنتقل دلالات اللون الأخضر من الحياة بجمالها وفرحها ورفاهيتها إلى الموت بقبحه وحزنه وفقره ،أو العكس ؛ بسبب تحول مشاعر الشخصية بإزاء الأحداث ،فيرتبط التشكيل اللوني داخل الرواية عبر تكراره أو تضافره مع الألوان الأخرى بثيمة الرواية الرئيس؛ للإيحاء بمركزية معنى عميق تضمنته الرواية وأفصح عنه اللون .

ففي رواية (أساتذة الوهم)، لعلي بدر– المذكورة آنفاً– نجد أنّ تشاكل اللون الأخضر مع الألوان الأخرى ،وتكراره في هذه الرواية يشير من وجهة نظر سيميائية إلى تحول الدلالة من الحياة بمناظرها الجميلة والطبيعة الخلابة إلى الموت بمناظر القتل واليأس ،والمقطوعات الآتية توضح ذلك :

- تشاكل اللون الأخضر مع الألوان الأخرى يشير إلى تأرجح الذات بين وصف الحياة وجمال الطبيعة ،والموت وقبح الحرب ،فيبوح اللون بعصيان تلك الذات وتمردها على الحرب ،وتوهمها الثقافة والتميز، وقد تمثل ذلك في وصف الراوي هذه الشخصيات في زمن الحرب ومكان المواجهة: **((أخذت سيارتنا الزيل تهبط بثبات هذه المرة ،بينما كنا ننظر إلى القمة المقبلة حيث كان الهجوم الإيراني على أشده ،الأشجار الخضراء الوارفة ،شلالات الماء التي تتساقط إلى أسفل ،زهور الربيع المتفتحة الشمس الذهبية الساطعة ،كلها كانت تشكل مشهداً يتناقض كلياً مع مشهد المعركة . كل هذه الفوضى الكونية التي تحيط بنا ،كل حمام الدم على الصخور ...كل بيارق الحرس الجمهوري الحمراء على المصفحات ،كل هذه الجثث المتدحرجة على الصخور...))**[xl] .
- تشاكل اللون الأخضر عبر التكرار والتضافر مع اللون الرمادي للإشارة إلى انتقال الدلالة من الحياة إلى الموت بسبب الحرب ،ويمتثل ذلك في وصف عيسى الطريق إلى جبال كرد مند في السليمانية أيام الحرب مع إيران **((كان وصولي إلى سفح كردمند في ضحى يوم من أيام ربيع العام 1987 إذ أقلتنا سيارة عسكرية من معسكر داخل السليمانية وانطلقت بنا نحو الجبل ...أما أنا فقد كنت منسرحاً بالخلوات على الطريق وأنا أراها وهي تمتص ضجيج وصخب الأرتال العسكرية المتقدمة ...وأثناء صعود الجبل انبسط أمامنا قوس أخضر يحاذي القمة** خرجت منه **اسراب طيور السمان وهي تحط وترتفع ...و من بين شبكات التمويه كنا نرى المدفعية حيث يتوهج معدنها الصلب تحت شعاع الشمس الذهبية الساقطة عليه ،كنت أنظر أشجار الصنوبر الوارفة الخضرة تنبثق من بين الصخور الرمادية ،وهناك الغيطان الواطئة تنبسط أمام شلالات مياه من بين الشعاب ...كنت أشعر بالطبيعة وهي تتخللني بشكل مدهش .ربما شعور الموت هو الذي جعلني أشعر بأن هذه هي المرة الأخيرة التي أرى فيها هذه الطبيعة الجميلة الخرساء ،فأخذت أذوب في هذا المشهد...))**[xli].
- اللون الأخضر يشير إلى انتقال الدلالة من الموت في زمن الحرب "الزمن الواقعي" إلى الحياة في الزمن الخيالي " الزمن الوهمي" الذي يعيشه عيسى ،إذ يهرب من الجيش، ويعيش في عالم وهمي ،يجسد شعره هذا العالم ،وكأنّه يعيش في قصر يرتدي فيه أبوه بدلة صيد خضراء **((... غير أنّه بعد قراءته لسير الشعراء الغربيين وحياتهم ،وعلاقاتهم وعلاقة هذه الحياة مع أشعارهم ،غير من صورة العائلة ،فأصبحت "صبرية "في أحدث قصائده ترتدي معطفاً من جلد السمور ،ووالده (إروين) يدخل إلى القصر ببنطاله الجوخ وسترت الصيد الخضراء على كتفه ،بينما كانت أزرار قميصه الوردي الفاتح كلها من الذهب الخالص))**[xlii].

تتجلى قوة تشاكل اللون الأخضر في هذه الرواية في خلقه مركزية معنى (وهم الحرية ،ووهم الثقافة) حين تتمظهر تمظهراً جدلياً بين حدي الحياة والموت ،فيتكون المعنى في مرحلتين ،إحداهما :تتمثل قوة حضور الأخضر في الطبيعة بوصفه المجسد للحياة الجميلة في أبها صورها . إلّا أنّ المرحلة الثانية المفارقة تذهب بالمعنى الروائي إلى الموت والقتل وانتشار الدماء على الصخور .فتتحول الدلالة من الحياة إلى الموت .ومن هنا يأخذ اللون في المقطوعة (3) منطقاً جديداً يتمثل في خلق عالم خيالي– بوساطة الشعر– تعيش فيه الذات "عيسى" بعيداً عن الحرب ،وتحقق فيه آمالها . وبذلك نشهد تحولاً دلالياً من دلالة الحياة إلى الموت في الزمن الواقعي، ومن ثم يرتد إلى الحياة في الزمن الوهمي الخيالي ؛ بسبب عدم قدرة عيسى تحقيق ذلك في الواقع ،فيسهم

الأخضر بقوته الضاغطة عبر التشاكل على إعطاء مركزية معنى توحي بمعاناة المثقف العراقي في زمن الحرب ،وعيشه في أوهامه.

أما رواية (شباك أمينة) لأسعد اللامي – المذكورة آنفاً– فقد تمثلت مركزية المعنى في تشاكل اللون الأخضر عبر تحول الدلالة من الحياة إلى الموت أو العكس ،والمقطوعات الآتية توضح ذلك :

- تحول دلالة اللون من الموت إلى الحياة :

- التشاكل اللوني للأخضر في الطبيعة مع اللون الأسود للمرأة يشير إلى عدول شخصية " المبروك " عن تفجير نفسه على الناس بعد رؤيته مناظر الحياة الجميلة : **((... قابلته أمرأة تمسك بيدها طفلة صغيرة ...وجه المرأة الجميل بشكل باهر والذي زادته ملابس الحجاب السوداء المتسربلة بها من قمة رأسها حتى أسفل قدميها تضاداً ساطعاً ومتألقاً ... تحركت عيناه متتبعة يد الطفلة المعلقة في الهواء تشير إلى اللعبة .انصرّ شباكاً بلاستيكياً صغيراً أخضر اللون امتدت على اضلاعه أغصان تفرعت منها زهور بألوان متعددة في داخل الشباك ،رأى عصفورين معلقين على ذراع ...))**[xliii] .

- تشاكل اللون الأخضر مع الألوان الأخرى في وصف امستردام من قبل حنين عند عودتها من العراق يشير إلى انتقال الدلالة من الموت والخراب في العراق إلى الحياة والجمال في أمستردام، والمقطوعات الآتية توضح ذلك :

1- توظيف أحد الأمثال للإشارة إلى الموت في العراق مقابل الحياة في أمستردام ،ويتمثل ذلك في حديث حنين عن الحياة في العراق : **((... العشب أكثر اخضراراً في الجهة الأخرى من السياج . لا أعرف لم دق ناقوسهُ في رأسي هذا المثل أيضاً وأنا أرى ،أين ما وجهت عيني خراباً ماحقاً يلف الأرض والسماء ،وحين أغمض عيني بقوة محاولة إبعاد مشاهد الخراب المؤلمة وجدتني استغرق في سبات مشتت للحواس هبطت فيه روحي نحو قرار سحيق ...))**[xliv].

2- لذلك تعود إلى أمستردام فتتحول دلالة الموت والخراب إلى حياة وجمال : **((أمستردام من الجو .. عروس بحر ،تستيقظ من إغفاءتها المترفة ببطء ،تمسح عن عينيها الزرقاوين بتراخ سعيد بهجة الليل ،تهبط الطائرة على الأرض ... أجتاز الممرات الناصعة كالبلور ... أخرج إلى الشارع المتلامع تحت سماء تنث مطراً أخضرَ خفيفاً ...))**[xlv].

- تشاكل اللون الأخضر مع الألوان الأخرى عند حوار عبد الكريم مع حنين يشير إلى انتقال الدلالة بالحب من الموت إلى الحياة : **((... واحدة من خطايا الحب يا زهرتي ،أنّه يجعل السماء زرقاء على الدوام ،يجعل الجدب أخضر والمرء يجعله من فرط التوهج لا مرئياً شفافاً))**[xlvi].

- اللون الأخضر دال على انتقال الدلالة –عند سماع أغنية – من الموت إلى الحياة : **((... عادت تصرخ بصوت أشد عنفوناً وكان الناي يواكبها في صعود وهبوط يرافقه ارتخاء وشد في أعصابنا وفي حدقات عيوننا المثقلة بحزن كظيم ... فتكشفت عن سماء رائعة عاودت فيها روحي اخضرار غوايتها ،غريب أمر هذه الروح غريب ومحير في ذات الوقت ...))**[xlvii].

- تشاكل اللون الأخضر مع الألوان الأخرى دال على انتقال الدلالة من الحياة إلى الموت ،ويتمثل ذلك في وصف الراوي لتاريخ العراق الدامي من تولي سلطة البعث حتى الحرب الطائفية ،وذلك عند مشاهدته جدارية زيتية لرئيس السلطة السابق وما فعله بجيل كامل من العراقيين : **((هل استطيع العدد الذي اخترق الغابة الفاصلة بين الطريق العام والبوابة الحجرية المضلعة على هيئة هرم خماسي بين أركانه استقرت جدارية زيتية للقطرب الأكبر يبتسم ويحي القادمين؟ ... ليس العدد هو المهم ،الأكثر**

أهمية بلا شك ان السحرة هبطوا في الفجر الرمادي ،طوابير طوابير خلاصة جيل برج السرطان من مواليد ما بعد منتصف الخمسينات قرن الطوفان الأخضر الموشح بالسواد كان لون السماء . الرماد لون الطريق الغابة ضفدعة هائلة خضراء غطاء الرأس أسود الملابس المتهدلة خضراء شاحبة ،الأحذية ثقيلة سوداء ، أغصان أشجار الغابة المتشابكة التي حجبت النور الابيض الناهض عن وجوه السحرة أقرب للسواد منه إلى لون الأغصان المتعارف عليها حتى الضحكات ةالقهقهات هي الأخرى سوداء))[xlviii].

تفضي هذه المقطوعات إلى أنّ الموت في العراق أصبح هو الصفة الغالبة نتيجة للحروب والموت الذي أصاب جيلاً كامل في عصر النظام البعثي ،والاقتتال الطائفي الذي حول البلاد إلى خراب وموت بعد سقوط ذلك النظام ،فتكون بذلك العودة من بلاد الغربة إلى العراق محفوفًة بالموت ومشاهد الخراب؛ لتصبح الهجرة –مرة أخرى – إلى بلاد الغربة ضرورة حياتية لابد منها. زيادة على ذلك فقد أشار تشاكل اللون الأخضر مع الألوان الأخرى إلى تفاؤل الذات بالحب وتحولها مؤقتاً في لحظة ما إلى الحياة بإزاء الموت المنتشر. ومن هنا يشير تشاكل اللون الأخضر إلى مركزية معنى تبعث صورة سلبية للحياة في العراق ترتبط ارتباطاً وثيقاً بثيمة الرواية الرئيسة التي تتمحور حول معاناة العراقيين العائدين إلى الوطن بعد 2003 ،زيادة على تركيزها على معاناة العراقيين الباقين فيه ،ومن هذه المعاناة تشير الرواية إلى سلبيات الانظمة العراقية ومعاناة المجتمع من الحروب.

ولا تبتعد رواية (أطلس عزران البغدادي)،لخضير فليح الزيدي عن هذا المعنى ،فهي رواية تبين مدى الدمار الذي أصاب العراق بعد أحداث 2003 ،إذ إنّ شخصية عزران الغرائبية وذات القدرات الاستثنائية ،تقوم – بوصفها رمزاً لمأساة العراقيين وأقدارهم الاستثنائية– بملاحقة كل شيء باعث على الحياة ،وتحويله إلى موت ،زيادة على معالجتها موضوعة الحب الذي يجمع بين سامر ونورا ،و الأقليات اليهودية وحوادث قتلهم .فلو تفحصنا تشاكل اللون الأخضر فيها في ضوء حدي " الحياة والموت " لوجدنا أنّ هناك محوراً دلالياً يضم ثنائية (ارتباط الموت بعزران البغدادي– تحول الحياة إلى الموت) ،على أنّ هذا المحور سيمثل المجتمع العراقي بعد 2003 عند دخول الاحتلال، وما رافقه من اقتتال طائفي ،وتفجيرات ،لذا سيتم الانتقال من الحياة إلى الموت عبر وجود الحياة داخل الموت .والمقطوعات الآتية توضح ذلك :

- تشاكل اللون الأخضر مع اللون الماروني يشير إلى ارتباط شخصية عزران الغرائبية بالموت ،فحين تحضر يحضر الموت ،ويتجسد ذلك في حلم ألياس اليهودي بعزران البغدادي، وهو يحول الحياة الخضراء إلى موت مرٍ ، فيرمز اللون الأخضر إلى انتقال الدلالة من الحياة إلى موت : **((...في آخر هزيع من ليلة البارحة ،جثم على صدري كابوس ثقيل ..شاهدت صورة عزران بربطته المارونية وكرشه المتدلي يقطع تفاحة خضراء صغيرة ويقضم منها قطعة صغيرة ثم يبصقها من فمه لحموضتها ومرارتها التي لا تطاق ..يقذفها في موقد النار ويتدفأ باشتعالها))**[xlix].وهذا ما حصل فعلاً إذ يقتل ألياس بعد ذلك من قبل عصابة مسلحة .

- تشاكل اللون الأخضر مع الألوان الأخرى مؤشر على وجود الحياة وسط الموت في بغداد ،وشعور المحبين بالخوف : ((**في تلك اللحظة انشغل هو "عزران" بملاحقة سامر ونورا ...هما مثل وردتين يانعتين نبتا في مستنقع رجس دائم منذ سنتين .. مثلما تينع زهرة لوتس رقيقة يتيمة فوق فوهة بركان ساخن ومضطرب ،أو روضة خضراء في جهنم الحمراء ...))**[i].

نلحظ أنّ تشاكل اللون الأخضر في هذه الرواية يشتغل على مركزية معنى توحي بأنّ الموت أصبح بالجملة نتيجة للاحتلال والاقتتال الطائفي ،وما عزران البغدادي إلّا دليلاً على انتشار الموت عبر التفجير أو القتل ،زيادة على ملاحقته لكل أشكال الحياة ،ومنها الحب .وبهذا يشير اللون الأخضر في بعده التشكيلي إلى تحول المجتمع العراقي من الحياة إلى الموت عبر تجسيد الخراب والقتل والقبح ،فيسهم بذلك في إنتاج المعنى الروائي الذي تضمنته ثيمة الرواية الرئيسة .

3- الأسود :

يعد هذا اللون من الألوان الأكثر تداولاً في المجتمع، لارتباطه بمصائر أفراده من جهة ،وحساسية مشاعرهم وتعاملهم مع الحياة من جهة أخرى[ii] ،فهو لون السيادة والرفعة[iii].وقد يكون رمزَ الحزن والفناء [iiii] .وبذلك تتعدد استعمالاته بتعدد دلالاته ،فيستعمله الروائي على الصعيد السيميائي في ضوء إفادتها من كل هذه الدلالات المتنوعة والمختلفة .

يشتغل تشاكل اللون الأسود دلالياً في الرواية العرقية في ضوء علاقة ثنائية بين حدين هما: (الفرح والحزن) ،والشكل الآتي يوضح ذلك :

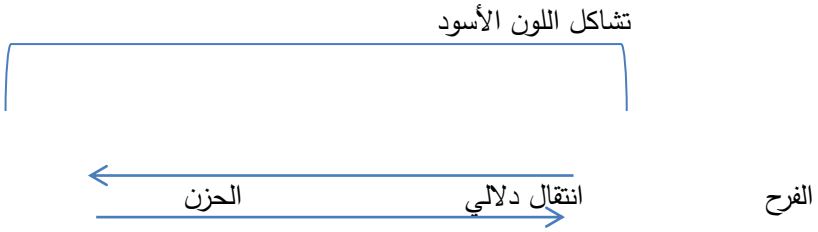

فلو تفحصنا تشاكل اللون الأسود في الرواية العراقية في ضوء هذه الثنائية ،لوجدنا أنّ هنالك محوراً دلالياً يضم انتقالاً من دلالة الفرح إلى الحزن أو العكس ،فينفي الفرح مقومات الحزن ويقصيها أو يسلب الحزن معطيات الفرح وأسبابه .ومن هنا فإنّ أحدى هاتين الدلالتين تقوم بنفي الأخرى وإقصائها ضمن ثيمة الرواية الرئيسة ؛لخلق مركزية معنى يكون فيها اللون قادراً من وجهة نظر سيميائية في بعده التشكيلي على الإيحاء بهذا المعنى ضمن ثيمة الرواية الرئيسة .

ففي رواية (ترنيمة أمرأة شفق البحر) ،لسعد محمد رحيم ،التي تعرض معاناة العراقيين في زمان الحرب واضطرار بعضهم إلى الهجرة ،إذ يروي سامر بأسلوب واقعي هذه المعاناة ،ليعرض مشكلات اجتماعية منها موت حنان بسبب اليورانيوم ،وأزمات العراقيين في الحروب وظلم السلطة ،زيادة على عرض معاناة المغتربين في البلدان من الناحية النفسية عند وصولهم إلى تلك البلدان ،وقد يموت بعظهم في الطريق . نجد تشاكل اللون الأسود يشير إلى محور دلالي تنتقل فيه الدلالة من الفرح إلى الحزن أو العكس ،والمقطوعات الآتية توضح ذلك :

- انتقال من الفرح إلى الحزن :

- تشاكل اللون الأسود يشير إلى تحول سامر من الفرح مع كلوديا وممارسة الحب إلى الحزن عند تذكر ما رآه في الحرب مع إيران : **((تحملني أسئلة كلوديا إلى حافات حربي القصية أو لعله ذلك الهاجس الذي يحرّضني لأبعثر إرثي الباهظ في أفق رواية سأكتبها .أخبرها –روز الجميلة –عن ليلة واحدة .ليلة ابتدأت كأية ليلة خريفية ،مشبعة برائحة تفسخ النباتات ،ومطر بكر ستعبر غيومه ولن يتساقط ،ولغط الجنود ،لتنتهي عند فجر مضرج بالدماء والأنين ..أخالها تتناهى ،إليّ الآن ،رائحة الموت العالقة بين ذرات التراب ،والأعشاب المحترقة ،وفي الهواء الملوث بسخام القنابل .أخالني أعود إلى الظلمة المعتقة ،العفنة تلك تكشف مشاعل التنوير عن هولها الشاسع))**[liv].

- تحول سعد من الفرح إلى الحزن بسبب كلام حنين عن الزواج بإزاء مأساة الموت في الحروب ،فهي تعاني من مرض السرطان بسبب اليورانيوم : **((... قل لي لماذا يتزوج الناس وينجبون ؟ يقذفون بأطفال آخرين إلى العالم ،إذا كان هناك الألم والموت ؟ ثم ما معنى كل شيء أذا كان هناك الموت؟ . صحت بها : توقفي بحق الله أنت تدفعيني إلى الجنون . لاذت بالصمت والوجوم ،وبقيت أنا أحدق في سواد الماء ،من دون أن أعرف ما علي قوله))**[lv].

- اللون الأسود يشير إلى انتقالٍ دلالي من الفرح إلى الحزن جراء حضور الموت ،ويتمثل ذلك في وصف سامر كيف تمارس العراقيات الحزن على مواتهنّ : **((... أو تعلمي كيف تبكي نسوة العراق موتاهن ؟ كيف يكشفن عن صدورهن ،وينتفن شعورهن ،ويلطمن ويعولن ويندبن ،ليتشحن بحزن قاهر ،وسواد لا يخلعنه أحياناً طول العمر ؟))**[lvi].

- التشاكل اللوني للأسود يشير إلى تحول خالد من الفرح عند هجرته من العراق إلى بلاد الغرب عبر ليبيا إلى الحزن بسبب عاصفة قوية ذكرته بعدم سماع نصيحة أمه من السفر : **((خالد الناجي من حربين طاحنتين ،وعشرات المصائب يجد الآن نفسه أمام قدر معتم وثقيل ؛قدر الصحراء ... كم كانت أمي على حق " .. وتولته إغفاءة رقيقة . فتح خالد عينيه على أثر أنين وحشي ،وفحيح مكتوم ...كانا أمامه .. تملكه رعب أسود ... كان يرى رأسه بقعة أشد سواداً من هذا الليل ،وهو يتحرك بإيقاع صامت ...))**[lvii]. ومثله تحول خالد إلى الحزن في مشهد الخوف من العاصفة : **((...في رأس خالد كان صداع خفيف .في عينيه كانت حرقة واخزة ،وفي فمه كان الطين ..كانوا واقعين جميعاً في هذه الساعة ،وعلى وجوههم بقع صدفية ،وخطوط سوداء غائرة ونظراتهم فارغة كما المومياءات))**[lviii] .

- تشاكل اللون الأسود مع الألوان الأخرى مؤشر على سيادة الحزن على مشاعر سعد وإقصاءه للفرح ،ويتمثل ذلك في حواره مع كلوديا : **((... لماذا لا ترى في العالم غير الأبيض والأسود ؟ – ياليت .. ليت خيارنا كان الأبيض والأسود ،إذن لم تكن لتوجد**

هناك مشكلة ولكن بإمكاننا أن نختار ،غير أنّ الرمادي الذي هو بآلاف الدرجات يغطي وجه هذا العالم الآن .والرمادي ملتبس يا كلوديا وخداع . – لسوء الحظ ،هذا صحيح ...لكن حنان ماتت في التباس الرمادي))[lix]

- تحول من الحزن إلى الفرح :

- إنّ تشاكل اللون الأسود مع العتمة مؤشر على عصيان الذات للموت، فتوغل فيه لتحقق الفرح عبر المغامرة، وهذا ما نجده في المشهد السردي الذي وُصِف فيه سامر وكلوديا عند نزولهما للبحر في زمان العاصفة الشديدة : **((تقترح كلوديا مع أول نفس للعاصفة أن نسبح ...فأخبرها أن لا مانع لدي .يخلع كلّ منا قمصلته وحذاءه ،ويبقى بالبنطال والقميص ..ومع أول جيشان حافل نفض اشتباك جسدينا ونقفز معاً لنسلمها لعتمة البحر . نخوض ،في اللحظة جنون مغامرة الروليت المميت ،فأجدني تارة أقاوم الموج ،وتارة أستسلم لهواه المتقلب الصعب .أسبح حتى تكال ذراعيّ وكتفيّ ،أو أتركني ليتقاذفني البحر بين أصابعه الهائلة ..كلوديا قربي ..كلوديا بعيدة ..كلوديا فوق الزبدة السوداء ..كلوديا تحت العتمة اللاعبة ..كلوديا وأنا كلانا كائن في الموت .كلانا ضائع على حافة الحياة ...))**[lx]

- تشاكل اللون الأسود في عيني كلوديا يحول مشاعر سامر من الحزن والتشاؤم إلى الفرح والتفاؤل بهذا الجمال والغموض الإنساني : **((كلوديا هذه أفهمها ولا أفهمها .. تفهمني ،بيد أن شيئاً ما سرياً آسراً ،معتقاً يصلني بها في العمق .. شيء هو ربما ما أبحث عنه في ليل عينيها الساطع وراء ذلك الأفق المهتاج بالسواد واللانهائية والغموض . ليس هو غواية الأنثى المجردة ،لكنه شيء حميم دافق ،وجدّ إنساني له سطوته ...))**[lxi] .

نلحظ مما تقدم أنّ تشاكل اللون الأسود في هذه الرؤية يوحي بمعنى سيادة الحزن على مشاعر الشخصيات نتيجة للحرب والهجرة والموت ،وتحول جميع الأفراح إلى أحزان ،وهو أمر يجعل من الشخصية منطوية على ذاتها ، ويجسد الصراع النفسي الذي تعانيه ، ومن هنا يحيل التشاكل اللوني إلى مركزية معنى توحي بسيطرة الحزن على الذوات الفاعلة ،وسلب كلّ أسباب الفرح وإقصائها ؛ليرتبط هذا المعنى بثيمة الرواية الرئيسة في تجسيد معاناة العراقيين أبان زمن الحرب والهجرة ،فينتج التشاكل اللوني قيمة سيميائية تتدخل في تشكيل ثيمة الرواية ومعناها.

إنّ هذا التحول في دلالات اللون الأسود من الفرح إلى الحزن ،نجد لها نظيراً ذا معنى آخر في رواية (مشرحة بغداد)،لبرهان شاوي ، التي تروي حكاية الموتى من قبل راوٍ ميت ،تعالج قضية ميتافيزيقية تدور حول الحياة والموت ،وترمز ضمنياً إلى الاستياء. وتمرد الفرد على مشاكل المجتمع العراقي ،وحوادث القتل والاغتصاب الذي تعرض له في مرحلتي الدكتاتورية وما بعد الاحتلال . فإذا كان التشاكل اللوني في رواية (ترنيمة أمرأة شفق البحر) يشير إلى سيادة الحزن على الشخصيات ،فإنّه يقترن بالكشف والفضح في هذه الرواية ،فهو بحث عن أسباب خراب البلد ومن ساهم في هذا الخراب ،وكيف ساهم هذا الخراب في إقصاء الفرح والأمل، ليسود الحزن . والمقطوعات الآتية توضح ذلك :

- المقطوعة (1) تشاكل اللون الأسود مع اللون الفسفوري في هيأة كلب يثير الخوف في النفوس ويبعث عدم الطمأنينة والاستغراب ،ويتمثل ذلك في وصف الراوي ظهور هذا الكلب لآدم الحارس في المشرحة : **((حين وصل أسفل الممر وجد باب**

غرفته مفتوحاً ،تذكر أنّه تركه مفتوحاً .نظر إلى عمق الممر ،فهاله ما رأى ،كان هناك كلب أسود ،هائل الحجم كالجاموس ،وكان الكلب الأسود ينظر إليه بعينيه الفسفوريتين نظرة حاقدة ،وكأنّه يتأهب للانقضاض عليه ...))[lxii].

- المقطوعة (2) تشاكل اللون الأسود عبر التكرار يشير إلى قوة هذا الكلب وسلطته ،ويتمثل ذلك في وصف الراوي لهذا الكلب ،وهو يحاكم بعض المفسدين : **((هل يمكن أنْ يكون هذا الكلب الأسود الهائل الحجم كالجاموس يقف كالقاضي ،ليحدد مصائر هؤلاء الموجودين في الممر ؟لكن كيف يمكن للكلب أنّ يتكلم العربية ؟ ولماذا لم يظهر على الشاشة أبداً؟..لكن من يؤكد أنّ الكلب الذي كان يقف في مواجهة هؤلاء ؟نعم ربما كان هو؟ ؛لأنّ هؤلاء لا يخافون إلّا ممن هو أقوى منهم ؟والكلب الأسود الهائل الحجم هو ربما مثل كلب آكل قلوب الموتى في مصر الفرعونية ... تجرأ آدم التاجر ،الذي كان يتزعم المجموعة ،فقال من مكانه :**

- هل رأيت يا سيدي كيف يتحدث هذا التافه ويتطاول علينا ...كانت الجثة التي تجثو أمام الشخص الذي لم يكن ظاهراً على الشاشة خائفاً أنْ يقتنع بكلام آدم التاجر ،لكنه تجرأ على التقدم أكثر حينما رأى تلون الشعاع الفسفوري من الأصفر وتحول إلى اللون البرتقالي فالأحمر ،وهذه دلالة على الغضب مما قاله التاجر ...

- هؤلاء لا يريدون تمزيقي بالرغم من أنّ كلّ واحد منهم لديه فرقة لاغتيال المعادين له ،وأنهم يغتالون الآخرين لأبسط الأسباب...))[lxiii].

- تشاكل اللون الأسود مع الدم يشير إلى تحول الدلالة من الفرح إلى الحزن ،ويتمثل ذلك في سلب الفرح والأمل من آدم الحارس بسبب عمله في المشرحة : **((صار يهزأ مع نفسه من أغاني الحب ،ومن الأشعار التي تؤكد على هموم القلب وعمق المحبة فيه ،وهو يراه يومياً تقريباً ،لا يعدو قطعة من اللحم المغطى في معظم الأحيان بطبقة من الشحم ،والذي يشقه الطبيب أحياناً ،فلا يخرج منه سوى بعض الدم الأسود .لقد قضت هذه المهنة على أحلامه ورومانسيته وشاعريته ...وإنّ الإنسان هو أبشع المخلوقات في هذه الأرض))**[lxiv] .

نلحظ مما تقدم إنّ بثّ الخوف هو السمة الغالبة على دلالات اللون في المقطوعة (1) و(2) نتيجة لقوة هذا الكلب وسلطته ، في حين تعكس دلالة المقطوعة (3) ضياع آدم الحارس في هذا الخوف وتحول أحلامه من الفرح والرومانسية إلى الحزن والانطواء بسبب سيطرت الخوف عليه ، وتمكنه من مشاعره في المشرحة ،فهو يتصارع مع نفسه نتيجة لصراعه مع قوة مستقل عن كيانه ؛ ليشير إلى الصراع الاجتماعي والطائفي الذي أصاب البلد، ومأساة أفراده . ومن هنا يشير تشاكل اللون الأسود إلى مركزية معنى تفضح الحالات الاجتماعية السلبية ،وما تفرزه من أثر نفسية ؛ للإيحاء بدلالة رمزية خاصة بالمخفيات والمطمورات من الأسرار في مشرحة بغداد بعد 2003 ،يسيطر فيها بعض القتلة بوساطة الكذب والاحتيال وقلب الحقائق ،فتكون سلطتهم باعثةً على الخوف ومساهمة في تحقيق الحزن .مقابل خضوع باقي الناس لهذا الخوف وإقصاء الفرح والرومانسية ، ليسود الحزن والألم .

إنّ الصلة بين التشاكل اللوني والتحولات الدلالية ،وعلاقة ذلك بثيمة الرواية الأساس تتخذ شكلاً آخر في رواية (هروب الموناليزا ،بوح قيثارة)،لبلقيس حميد حسن التي تدور أحداثها على وصف سيرة ذاتية لشخصية سومر، وهو ما جعل الروائية

تحرص على الإمساك بكل التداعيات النفسية المحتملة لهذه الشخصية التي تعيش معاناتها في المهجر ،ومشكلة الزواج السري وتبعياته .إذ يشير اللون الأسود إلى مفارقة تتأرجح فيها دلالات اللون بين الفرح والحزن ،والمقطوعات الآتية توضح ذلك :

- تشاكل اللون الأسود مع الأبيض يشير إلى تحول من الفرح إلى الحزن ،ويتمثل ذلك في وصف الراوية لمشاعرها في حفلة موسيقية ،وعيشها في عالمها الداخلي المتناقض : **((دعيت يوماً إلى حفلة موسيقية ...يومها عزفت الفرقة رباعيات وترية أخرى .واحدة لبيتهوفن وأخرى لجوزيف هايدن .لقد أدخلتني هذه الرباعية بدوامات متقلبة بين الفرح والحزن ،وكأنّني أمام مشهد حرب خاسرة ،وأسرى محنيي الرؤوس ،يسيرون بذل الانحدار والخيبة مثقلين بأوزار الحرب .وفجأة أجدني أمام مسرح يضيء بأرشق وأجمل راقصة رأيتها بحياتي ،تتلوى بحيوية تخلب الألباب .أحياناً تنطلق أمامي وأنا استمع للرباعية الوترية الآف الأسراب من الفراشات البيض ،تطير بمرح وبهجة ،أكاد ألمسها وقبل أن أصل ،تغطي غيمة ضخمة بستان الورد بالسواد و يهجم على عالمي جيش من العسكر يحطم كلّ ما يراه أمامه بعنف ،ثم تتحول الموسيقى إلى جبار يجرجرني داخلاً إلى زنزانة لا تتسع لنصف جسدي فأختنق ،وأتنفس الصعداء بلا وعي ،مدركة أن ما نراه أثناء سماع الموسيقى ما هو إلّا حياة الفنان ،معاناته ،وأفراحه نقرأها في موسيقاه نرافقه ونلوّن الأماكن لنطبعها بطوابعنا الحياتية))**[lxv].
- تشاكل اللون الأسود مع الألوان الأخرى يشير إلى تحول دلالي من الحزن إلى الفرح : ويتمثل ذلك في وصف الراوية لمشاعرها في أوربا عند هجرتها ،وموازنة ذلك بالعراق : **((... "الآخر هو وسيط بيني وبين نفسي ،وهو مفتاح لفهم ذاتي والإحساس بوجودي" تذكرت قول سارتر هذا حينما رأيت أوربا أول مرة .كنت حديثة العهد في رؤية هذه الألوان البشرية بسحناتهم المختلفة قادمين من انحاء الأرض من بقاع متصارعة ...كنت أرى سحنات وجوههم ،اللون البني القادم من شرق آسيا الأسود الذي لفحته شمس أفريقيا ،أو أمريكا اللاتينية حتى أحرقت خطه في المساواة والقبول عند العض ، الهجين الذي لا يدري إلى أي لون ينتمي ،أسود بعيون زرق ، بني بلون أشقر ، أشقر بعيون سود ،كلّ الألوان كل الأنواع ،أصفر بعيون منغولية ، قصار القامة ،طوالها ،متوسطوها ،كنت أعجب عندما أرى أمرأة سوداء تحمل بين ذراعيها طفلها الأبيض أو أخرى بيضاء مع طفل أسود ،لم أكن استنكره ،بل تدهشني رؤيته لأول مرة ،يثير بداخلي مشاعر أشبه بالفرح وكأن الإنسان في هذ البلد انتصر على الطبيعة بكل قسوتها وظلمها ،رغم تلك القيود التي ما زالت في داخلي ،ورغم جبني الذي يمنعني أن أفعل ما فعله هؤلاء البشر ،فقد رأيتهم أقوى مني وأنبل))**[lxvi].

إنّ ثنائية الفرح والحزن الدلالية الكامنة في تشاكل اللون الأسود مع غيره تتعمق في إظهار البعد النفسي للشخصية (سومر) ؛لتنتج مركزية معنى تكمن في إظهار معاناة هذه الشخصية في العراق وحزنها فيه وسيطرته على دواخلها حتى عند هروبها إلى أوربا ،فهي تعيش في الفرح في بلاد الغربة عند سماعها موسيقى جميلة ،ولكنها تتحول إلى الحزن عند تذكرها مأساة العراق والقتل الحاصل هناك ،فيتركز الحزن في الموسيقى لتركزه في نفسية الشخصية . في حين تتحول من حزنها السابق إلى فرح نتيجة لرؤيتها التنوع البشري في الغربة ،لتعود إلى حزنها من جديد بسبب سيطرة هذا الحزن عليها ،وعدم قدرتها على الفرار منه ،فتحس بضعفها بإزاء قوة الأخر ، وعلى هذا تسود دلالة الحزن على مشاعر سومر نتيجة لسيادة الماضي الحزين على مشاعرها ؛ لتخلق مفارقة دلالية تحيل على صراع نفسي تسود فيه دلالة الحزن على دلالة الفرح وتقصيها ،فتتكون مركزية المعنى عبر تشاكل

اللون الأسود للإشارة إلى حيرة الشخصية بإزاء حدث هروبها إلى أوربا على نحو يحمل نسقيين متضادين يحققان جدل علاقة الفرح بالحزن في ضوء مشاعر الشخصية ،و أبعادها النفسية .

من هذا التشخيص والتحليل لتشاكل اللون في الرواية العراقية ،يمكن أنْ نستنتج في ضوء لحاظ الجدول رقم (1) أنّ محصلة ما يمكن أن يخرج به الباحث من ذلك :

1. إنّ سيميائية التشاكل اللوني في الرواية العراقية يتضمن طاقة تعبيرية جعلته عنصراً أساساً من عناصر بناء المستوى الدلالي ،وذلك بسبب اعتماد الروائيين على الإيحاء والتحول من المعنى الايجابي إلى السلبي أو العكس .
2. إنّ التحول الدلالي للتشاكل اللوني من المعنى إلى ضده يشير إلى مركزية معنى ترتبط بثيمة الرواية الرئيس ، فتضفي على اللون بعداً جديداً ينحرف فيه عن معناه في السياق العام إلى معنى يقصده الروائي ويبثه في نصه .
3. إنّ سيميائية التشاكل اللوني في الرواية العراقية أظهرت المجتمع العراقي قبل أن يدخل في نفق الاحتلال ،وهو يعاني من الحرب والقتل وظلم السلطة، ليعيش في الخيال والأوهام. في حين جسد اللون طبيعة معاناة المجتمع العراقي في زمن الاحتلال والموت والاقتتال الطائفي ، واقصائه لكل أنواع الفرح والحياة والقوة والجمال . فهو مجتمع يعيش في حالة غيبوبة ؛ لأن أبناءه يعيشون في سجن كبير مليء بالفساد والموت والقتل وعدم القدرة على الانجاز .

الهوامش :

[i] اللون لعبة سيميائية ،د. فاتن عبد الجبار جواد :137.وينظر:علم الدلالة ،منقور عبد الجليل :84-85 .

[ii] معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون :91-92 .وللاستزادة : ينظر: مفاهيم التشاكل (Isotopie) في السيميائيات العربية المعاصرة ،د. وغليسي يوسف ، www.adablabo.net

[iii] اللون لعبة سيميائية ،د. فاتن عبد الجبار جواد :137.

[iv] أفاد الباحث من تحليل د. محمدة فكري الجزار للوصول إلى هذه الفكرة : ينظر : العنوان وسيميوطيقا الاتصال ،د. محمد فكري الجزار : 111.

[v] يدل اللون الأبيض في السياق الدلالي العام على معان ايجابية نحو : الطهارة والفرح والنصر وغيرها. ينظر: الرسم واللون ،محي الدين طالو :171،وينظر: جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم ،د. ابتسام مرهون الصفار :264.وينظر: اللون لعبة سيميائية ،د. فاتن عبد الجبار جواد: 43. ويدل بمعناه السلبي على الشخصية الفارغة أو من كان ذيلاً في مجتمعه :دالة اللون في زمن أهل التحقق ،د. ضاري مظهر صالح :302-303 .

[vi] ينظر:اللون لعية سيميائية ،د.فاتن عبد الجبار جواد :43.

[vii] تحت سماء كوبنهاغن، حوراء النداوي :83- 84.

[viii] نفسه :67.

[ix] نفسه: 74.

[x] شاي العروس ميسلون هادي 2010 : 27.

[xi] نفسه :39.

[xii] نفسه :177-178.

[xiii] فرانكشتاين في بغداد، أحمد السعداوي :67-68.

[xiv] نفسه :63-64.

[xv] نفسه :15.

[xvi] نفسه :295-296.ومثله وصف نوال الوزير :52.

[xvii] نفسه :304-305.

[xviii] اللون في الشعر العربي القديم ، د.زينب عبد العزيز العمري :19.

[xix] ينظر: الرسم كيف نتذوقه ،عناصر التكوين ،فريدريك مالنز ،تر: هادي الطائي ،مر: د.سلمان الواسطي :184.

[xx] ينظر: نظرية الدراما ،سنيشينا يانوثا ،تر: نور الدين فارس :207-208.

[xxi] عجائب بغداد ،وارد بدر السالم :126.

[xxii] نفسه : 196.

[xxiii] نفسه : 89.

[xxiv] حدائق الرئيس ، محسن الرملي : 174.

[xxv] نفسه :210.

[xxvi] نفسه :263 .

[xxvii] نفسه :9.

[xxviii] ليل علي بابا الحزين، عبد الخالق الركابي :46.

[xxix] نفسه :280 -281 .

[xxx] ينظر: نفسه :170 .

[xxxi] نفسه: 183.

[xxxii] نفسه: 195.

[xxxiii] نفسه :134.

[xxxiv] نفسه :148.

[xxxv] نفسه :233.ومثله مشكلة المليشيات وأفكارها الهدامة :284.

[xxxvi] ينظر: قاموس الألوان عند العرب ،د.عبد الحميد إبراهيم،:66-67.

[xxxvii] الرسم واللون ،محي الدين طالو :173.

[xxxviii] ينظر:جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم ،د.ابتسام مرهون الصفار:307.

[xxxix] نظرية اللون ،د. يحيى حمودة :136.

[xl] أساتذة الوهم ،علي بدر:113.

[xli] نفسه :108-109.ومثله أيضاً:94.

[xlii] نفسه : 159.

[xliii] شباك أمينة ،أسعد اللامي :201.

[xliv] نفسه: 59.

[xlv] نفسه : 207 .

[xlvi] نفسه: 161 .

[xlvii] نفسه :151.

[xlviii] نفسه: 117-118.

[xlix] أطلس عزران البغدادي خضير فليح الزيدي : 209.

[l] نفسه : 42.

[li] ينظر: اللون لعبة سيميائية ،د. فاتن عبد الجبار جواد :44.

[lii] ينظر: دالة اللون في زمن أهل التحقق ،د. ضاري مظهر صالح :386 . ينظر: اللون في الشعر العربي القديم ،د. زينب عبد العزيز العمري :19 .

[liii] ينظر: الرسم واللون ،محي الدين طالو :172 . وجماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم ،د. ابتسام مرهون الصفار :266 – 268.

[liv] ترنيمة امرأة شفق البحر:41.

[lv] نفسه :98 .

[lvi] نفسه: 237.

[lvii] نفسه :228-229.

[lviii] نفسه :235.

[lix] نفسه :168.

[lx] نفسه :137-138.

[lxi] نفسه : 164-165 .

[lxii] مشرحة بغداد، برهان شاوي:135.

[lxiii] مشرحة بغداد :143-144.

[lxiv] نفسه : 30.

[lxv] هروب المونااليزا ،بوح قيثارة ،بلقيس حميد حسن،:91.،ومثله عالم سومر الداخلي عند التفكير بحبيبها:35-36.

[lxvi] هروب المونااليزا :45.

مصادر البحث ومراجعه

- النصوص الروائية :

1. أساتذة الوهم ،علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت –لبنان،ط1، 2011 .
2. أطلس عزران البغدادي خضير فليح الزيدي ،دار ميزوبوتاميا للنشر ،بغداد، دار أفكار للدراسات والنشر ،سوريا، ط1 ، 2015.
3. تحت سماء كوبنهاغن، حوراء النداوي ،دار الساقي ،بيروت لبنان ،ط1، 2010.
4. ترنيمة امرأة شفق البحر ،سعد محمد رحيم ،دار فضاءات للنشر والتوزيع ،الأردن –عمان ،ط1 ،2012.
5. حدائق الرئيس ، محسن الرملي ،ثقافة للنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،ط2 ، 2013.
6. شاي العروس ميسلون هادي ،دار الشروق ،عمان،ط1، 2010.
7. شباك أمينة ،أسعد اللامي ،دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع ،سوريا – دمشق ،ط1 ،2014.
8. عجائب بغداد ،وارد بدر السالم ،دار ثقافة للنشر والتوزيع ،الإمارات –أبو ظبي ،ط1 ، 2012.
9. فرانكشتاين في بغداد، أحمد السعداوي ،منشورات الجمل ،بغداد ،ط1 ،2013 .
10. ليل علي بابا الحزين، عبد الخالق الركابي ،دار عدنان للطباعة والنشر ، بغداد ،ط1 2013.
11. مشرحة بغداد، برهان شاوي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،لبنان ،بيروت ،ط1 ،2012
12. هروب المونااليزا ،بوح قيثارة ،بلقيس حميد حسن، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع ،بغداد ط1 ،2013.

- الكتب والدوريات ،والمكتبة الالكترونية :

1. جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم ، د. ابتسام مرهون الصفار، عالم الكتب الحديث، الأردن – إربد ، ط 1، 2010 .
2. دالة اللون في زمن أهل التحقق ،د. ضاري مظهر صالح ،دار تموز للطبع والنشر والتوزيع ،سوريا دمشق ،ط1 ، 2011.
3. الرسم كيف نتذوقه ،عناصر التكوين ،فريدريك مالنز ،تر: هادي الطائي ،مر: د. سلمان الواسطي ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد،ط1 ،.1993
4. الرسم واللون ،محي الدين طالو، مكتبة أطلس ،سوريا –دمشق ،1961.
5. علم الدلالة ،منقور عبد الجليل ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،سوريا – دمشق ،2002.

6. العنوان وسيميوطيقا الاتصال ،د. محمد فكري الجزار ،الهيأة المصرية العامة للكتاب ،مكتبة الأسرة، مصر– القاهرة ،د ط، 2006.

7. قاموس الألوان عند العرب ،د. عبد الحميد إبراهيم، الهيأة المصرية العامة للكتاب ،دط ، 1989.

8. اللون في الشعر العربي القديم ، د. زينب عبد العزيز العمري ،مطبعة الأنجلو المصرية ،القاهرة،ط1، 1989.

9. اللون لعبة سيميائية ،د. فاتن عبد الجبار جواد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،الأردن –عمان ،ط1 ،2009 .

10. معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس ،مؤسسة الانتشار العربي ،لبنان ،ط1، 2010.

11. مفاهيم التشاكل (Isotopie) في السيميائيات العربية المعاصرة ،د. وغليسي يوسف ، www.adablabo.net.

12. نظرية الدراما ،سنيشينا يانوثا ،تر: نور الدين فارس ،دار الشؤون الثقافية ،العراق– بغداد،ط1 ،2009.